عيسى الخوري باسيل بندك
« أبو يوسف »
١٨٩٨ – ١٩٨٤

فقيد الوطن والمهجر

مقدمة

إن هذه الدراسة تتمحور حول رائد من رواد النهضة الحديثة في بيت لحم في القرن العشرين. وهنا تجدر الإشارة أن أخص بالذكر الرعيل الأول من أمثال المرحوم يوحنا خليل دكرت، الروائي والصحفي والمصلح الاجتماعي الذي عمل جنباً إلى جنب مع فقيدنا في تأسيس النادي الأدبي وفي إصدار مجلة **بيت لحم** ما بين ١٩١٩ و ١٩٢١، والمرحوم خليل ابراهيم قزاقيا، رائد الحركة الوطنية الأرثوذكسية في بيت لحم وفلسطين وعضو اللجنة التنفيذية العربية الذي ضحى بكل شيء من أجل إعلاء شأن شعبه وطائفته.

اعتمدت في صياغة هذه الدراسة على مصادر كثيرة منها الدراسة التي أعددتها عن التطورات الفكرية والصحفية في بيت لحم وفلسطين في معهد الدراسات العالية في جامعة انديانا والتي نشرت باللغتين العربية والانجليزية من قبل مركز وئام في بيت لحم في عام ٢٠٠٢ تحت عنوان «صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين: تطورات سياسية واجتماعية وصحفية وفكرية في مدينة بيت لحم في العهد البريطاني، ١٩١٧-١٩٤٨»، والرسائل الكثيرة المتبادلة مع الفقيد، وأعداد من مجلة **بيت لحم**، و**صوت الشعب**، ومقالات عن الفقيد ظهرت في مجلة **المهد** البيتلحمية، ومجلة **الأديب** البيروتية، وجريدة **الفجر**، ناهيك عن سجلات بلدية بيت لحم، والوثائق والتقارير، والكتب والمقالات المؤرخة للحياة الفكرية والسياسية لعرب فلسطين. وأريد أن أذكر كذلك المقابلات مع كريمة الفقيد سعاد أبوردينة «أم نبيل».

نشأته

ولد المرحوم في بيت لحم عام ١٨٩٨ للخوري باسيل ميخائيل بندك ولمريم نسطاس بندك، وكان الخوري باسيل عضواً فعالاً في مجتمعه ومن مؤسسي الجمعية الوطنية الأرثوذكسية في بيت لحم. تلقى عيسى دروسه الابتدائية والإعدادية والثانوية في المدرسة الأرثوذكسية وأكمل دراسته في كلية الفرير في بيت لحم وفي كلية الفرير بالقدس. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، عمل في الخدمات التلغرافية العثمانية في بلاد الشام في صافيتا وحمص والسلط، وعند وصول القوات الإنجليزية مشارف القدس في ٩ كانون الأول ١٩١٧، كان الفقيد يعمل في مكتب التلغراف في المدينة، ولقد أخبرني في رسالة أنه هو الذي أخذ برقية أنور باشا - الرجل القوي في الآستانة - وسلمها إلى حاكم القدس العثماني، وكانت تنص البرقية على الانسحاب العثماني الكامل من القدس دون القيام بأي عمل يضر بالأماكن المقدسة. وبعد دخول الإنكليز انخرط الفقيد في سلك التدريس كأستاذ للغة العربية في مدرسة الفرير عام ١٩٢٢. ولقد تزوج في سن مبكرة من زهية إبراهيم زايد وكان ذلك في سنة ١٩٢٠. وقد أنجبت زهية يوسف وأولغا وسعاد ورياض وغازي ومي ومازن وجهاد.

الدور الذي لعبه في بيت لحم

لنعد قليلاً إلى الأعوام الأولى، التي تلت انتهاء الحرب العالمية الأولى أي إلى أوائل ١٩١٩، حيث قررت نخبة من شبيبة بيت لحم إقامة **النادي الأدبي** وذلك من أجل بث الفكر القومي والقضاء على التعصب وإصلاح المجتمع، وكان المرحوم يوحنا خليل دكرت رئيساً لهذا النادي والفقيد عيسى بندك سكرتيراً له، وكان من الأعضاء النشيطين يعقوب جاسر، والدكتور يوسف أبو العراج، ويوسف يعقوب الدبدوب، وخليل عيسى مرقص، وخليل قزاقيا. وبجانب نشاطات النادي السياسية كتنظيم المسيرات الشعبية ضد سياسة بريطانيا تبنى الأعضاء نشاطات محلية كفتح مدرسة ليلية لتعليم الكبار والتي انتظم فيها مائة طالب. فالهدف الأساسي كان إرساء أسس المجتمع العلماني المتكامل المتحرر من نير الجهل والتعصب والطائفية والعشائرية والقادر على السير في موكب حضارة القرن العشرين.

ولقد أفسح هذا النادي المجال لدكرت وبندك أن يفكرا بأن خير وسيلة للإعراب عما في دخيلة نفسيهما هو أن يصدرا مجلة اجتماعية أدبية، وبالفعل بدأت هذه المجلة بالظهور ابتداء من أيلول ١٩١٩، والمتصفح لأعداد هذ المجلة يرى قائمة كبيرة من المقالات

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية الهادفة اولاً وأخيراً إلى تحرير البلاد من نير الاستعباد والى غرس حب الوطن في القلوب والى القضاء على الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تحول دون تحقيق الوحدة الوطنية «مثل الجهل والتعصب والطائفية والعشائرية».

وفي عدد حزيران ١٩٢٠ عقبت مجلة **بيت لحم** على قتال وقع بين حمولتين في منطقة بيت لحم قائلة:

> «لنا نحن الشرقيون بعض العادات لا توجد عند أعظم الأمم الراقية وأخرى لا توجد عند أحط الأمم وأدناها، وطالما نحن في القرن العشرين قرن النور والمدنية فيتحتم علينا نبذ كل العادات السافلة كالغناء في الشوارع والذهاب إلى الأعراس بدون دعوة وتقديم المناسف... ونوجه خطابنا إلى رؤساء الحمائل، ليتدبروا هذه المسائل الهامة التي تشير إلى الانحطاط والتي لا يشتمّ منها سوى رائحة الهمجية... فنأمل أن يهتم مفكرو الحمائل ويتلافوا كل هذه الخرافات والخزعبلات».

وفي عام ١٩٢١ اضطر المرحوم يوحنا خليل دكرت للسفر إلى أمريكا مع والده بعد توقف مجلة **بيت لحم** عن الصدور، اذ حصلت في الوقت نفسه نكبة مالية في تجارة القمح التي مارساها في القدس، وبمغادرته جمّدت نشاطات النادي الأدبي ومجلة **بيت لحم** وبذلك خسرت بيت لحم وفلسطين شاباً من خيرة شبابها الملتزمين، وقد أخبرني الفقيد في إحدى رسائله: «ولما بقيت منفرداً لا أملك أي شيء إطلاقاً بادرت في مغامرة ثانية معتمداً على نفسي متحدياً جميع العراقيل وأصدرت **صوت الشعب** ابتداء من ١١ أيار ١٩٢٢. وفي عام ١٩٢٥ بلغ من حماسة بعض أصدقائي في بيت لحم ومنهم يوسف يعقوب الدبدوب وحنا ميلاده وخليل عيسى مرقص أن ابتاعوا لي مطبعة وعهدوا إلى خليل مرقص في استلام الإدارة المالية لاسترجاع ثمنها". ولقد ابتيعت من مطبعة الروم الأرثوذكس في القدس، وبذلك تكون **صوت الشعب** هي أول مؤسسة تدخل الطباعة إلى مدينة بيت لحم، ويقول يعقوب يهوشع من مؤرخي الصحافة العربية في فلسطين: «**صدر العدد الأول من صوت الشعب "بضجة" عظيمة لم أر مثلها في الجرائد العربية التي صدرت بعد الحرب العالمية الأولى**».

لقد التزمت **صوت الشعب** منهجاً وطنياً مدوياً حيث لاقت رواجاً منقطع النظير كما بنت لنفسها نفوذاً سياسياً شامخاً تبنيه أكبر الهيئات السياسية في البلاد وكانت مقالاتها الافتتاحية التي تعتبر عصارة روح الفقيد وحيويته، قد لقيت استجابة وطنية في مختلف الأوساط، وقد أخبرني المرحوم «أبو يوسف» ما يلي: «**إذا أردت أن تعرف سر هذا النجاح والرواج فإنها الجرأة الفائقة في قول الحقيقة وإعلانها والدفاع عنها بإيمان راسخ وحدّ للسلطات البريطانية دون أن تجد مسكاً قانونياً، وأنا لم أكن محامياً ولكنّ فطرتي الطبيعية، هي التي كانت تخطّ لي الخط البارع في التعبير**». وقد استمرت المجلة في الصدور حتى سنة ١٩٣٩ حيث توقفت فترة ثم عادت للصدور سنة ١٩٤٧ واستمرت حتى نهاية الانتداب.

لقد فتحت **صوت الشعب** صدرها لكل القوى الوطنية والتقدمية في البلاد وأخص بالذكر عام ١٩٣٨ عندما تأسست الحركة الطلابية التقدمية في القدس وكانت تعرف هذه الحركة في أول الأمر **بجمعية الطلبة العرب وبعد ذلك برابطة الطلبة العرب**، وقد كتبت مجلة **الغد** الناطقة بلسان هذه الرابطة في أيار ١٩٣٨ ما يلي: « **بدأنا مشروعنا... بملاحق شهرية تبرّع لنا بحق إصدارها الأستاذ عيسى البندك... فنحن نوجه اليه كل شكر وامتنان لأنه كان أول من أخذ بيدنا في بدء مشروعنا الذي كتبت له الظروف أن يخطو خطوته التالية بإصدار الغد...**»

ولقد لعب الفقيد كذلك دوراً قيادياً في **نادي الشبيبة البيتلحمية** الذي تأسس سنة ١٩٢٧ والذي كان امتداداً للنادي الأدبي فأهدافه الأساسية كانت السعي لإزالة النعرات الطائفية، ولبثّ الروح الوطنية، وذلك لتكوين وحدة قومية عربية. وقد ترأس هذا النادي من ١٩٢٧ إلى ١٩٢٩ خليل عيسى مرقص الذي كان من أعز أصدقاء الفقيد ومدير إدارة **صوت الشعب** وسكرتير لجنة الدفاع عن حقوق المهاجرين وشخصية وطنية مرموقة ولكنه هاجر إلى امريكا في آب ١٩٢٩ ومن ثم انتخب الفقيد رئيساً لهذا النادي.

وقام النادي بنشاطات سياسية وأدبية وفنية، واستضاف الشخصيات العالمية في الحفلة التكريمية التي أقامها لصديق العرب Charles Crane من لجنة كنج-كراين، والتي حضرها رجال السياسة والفكر في فلسطين ومنهم: الحاج أمين الحسيني، وفخري النشاشيبي، وسليمان التاجي الفاروقي، وعوني عبد الهادي، وخليل سكاكيني، وبولس شحادة. كما أقام النادي حفلة تكريمية لصديق العرب Major Canning الذي كان عضواً في البرلمان البريطاني، وكان من بين الحضور المفتي، وموسى كاظم الحسيني، ونخبة ممتازة من الشخصيات الفلسطينية.

الدور الذي لعبه الفقيد في الحركة الوطنية الأرثوذكسية

لقد رأينا أن الفقيد ولد وترعرع في بيت أرثوذكسي، وكان والده الخوري باسيل يجسد طموحات الأرثوذكسيين العرب في استرجاع حقوقهم المسلوبة من قبل البطريركية والسينودس - أخوية القبر المقدس، وكان الأب باسيل من مؤسسي الجمعية الخيرية الوطنية الأرثوذكسية التي تأسست في بيت لحم سنة ١٩١٩ وعضواً فعالاً في مؤتمر الكهنة العرب الأرثوذكسيين الذي كان يترأسه الأب الياس قنواتي لذلك كان من الطبيعي أن يتأثر الولد بوالده وبيئته في الوقت الذي كانت فيه مسيرة القضية الوطنية الأرثوذكسية تصبّ في الحركة التحررية في فلسطين.

ليس غريباً إذن أن تصبح الشخصيات الأرثوذكسية من أمثال عيسى البندك وخليل قزاقيا وعيسى العيسى ويعقوب فراج وبولس شحادة ومغنم مغنم والعشرات من أمثالهم من أقطاب الحركة الوطنية في فلسطين. ولم تكن مفاجئة عندما أرسلت اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر الفلسطيني السادس - الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني - عيسى البندك مندوباً عنها إلى جلسات المؤتمر الأرثوذكسي العربي الأول المنعقد في حيفا ما بين ١٥ و ٢٠ تموز ١٩٢٣ وذلك للتعبير عن تضامن أبناء الشعب الفلسطيني مع إخوانهم الأرثوذكس العرب.

ولقد انصبت جهود «أبو يوسف» وجهود الجمعية الأرثوذكسية في بيت لحم إلى تحقيق ذلك الحادث التاريخي المجيد الذي وقع في بيت لحم سنة ١٩٤٦ عندما كان الفقيد رئيساً لبلدية بيت لحم ورئيساً للجمعية. وقد بدأ هذا الحادث عندما قررت الجمعية استرجاع مقبرة الآباء والأجداد من قبضة البطريركية «**مبنى الجمعية الآن الذي يقع فيه فندق "بالاس" أمام ساحة المهد**» «فأعدت سراً جميع مواد البناء وضربت موعداً ليلياً لمباشرة البناء وتدافع جميع سكان بيت لحم من مسيحيين ومسلمين بدون استثناء وذلك للمساهمة في إنجاز تلك المعجزة. وما أطلت الساعة السادسة صباحاً حتى كانت هناك غرفة مجهزة بالأبواب والنوافذ وقد تلألأت من أجوائها الأنوار الكهربائية فتمت العملية في خلال تسعة ساعات بكل انتظام ودقة.»

ولقد أخبرني المرحوم أن الجمعية حاولت إقناع البطريرك بشتى الطرق للموافقة على إعادة هذه المقبرة إلى الطائفة ولكن دون جدوى. وقال لي في رسالة وصلتني منه في صيف ١٩٨١:

> «وأخيراً استشرت صديقي المرحوم القاضي الأول في محكمة العدل العليا المرحوم علي جار الله، ليشير علينا بأقوى وسيلة قانونية لاسترداد حق الطائفة، وبعد أن علم أن ليس لدى البطريركية أي مستند يخولها شرعاً امتلاك المقبرة كما لم يكن لدى الجمعية أيضا أي مستند سوى قبور الآباء والأجداد فأشار إلينا: إذ كان باستطاعتكم بناء أي نوع من البناء ولو كان حائطاً لحمل البطريركية على محاكمة الجمعية، حتى إذا طلبت الجمعية أثناء المحاكمة أن تبرز البطريركية أي مستند يثبت ادعاءها في ملكية المقبرة فإن عجزت عن إبراز أي مستند فان المحكمة سترد الدعوة وبذلك تصبح ملكية المقبرة شرعاً للطائفة". وبالفعل هذا ما تم وعادت القبور إلى أصحابها الشرعيين. وفي أوائل الخمسينيات تم تشييد المبنى الذي نراه الآن جاثماً أمام ساحة المهد بدعم مادي من المغتربين البيتلحميين في أمريكا اللاتينية وأخص بالذكر المرحوم حنين أبو جارور، رجل الاقتصاد اللامع في جمهورية التشيلي».

الدور الذي لعبه على المسرح السياسي

لقد برزت شخصية عيسى البندك على المسرح السياسي منذ سنة ١٩١٨ عندما أصبح ممثل قضاء بيت لحم في اللجنة الإسلامية المسيحية التي ظهرت في القدس في أواخر ١٩١٨ كنواة للحركة الوطنية الفلسطينية، وكرد فعل للنشاط الصهيوني المكثف. وقد تبنت اللجنة في شهري كانون الثاني وشباط من عام ١٩١٩ ما جاء في مؤتمر عموم فلسطين وذلك للتعبير عن دعمها لوحدة بلاد الشام، ورفضها لوعد بلفور وتقسيم البلاد. وقد أخبرني المرحوم المعلومات التالية عن خبرته في هذه اللجنة:

> «كنت أصغر الأعضاء سناً إذ لم أكن أتجاوز العشرين ومكثت مدة.. لا أجرؤ فيها أن أبدي رأياً أمام هيئة مؤلفة من شيوخ أصحاب لحي وعمائم وأصبت بنوع من الشعور بالنقص.. وقررت أمام نفسي أن أثور على سمة الخجل التي كانت تواكبني وقررت أن أقتحم الميدان نقاشاً وخطابة. وأذكر أن أول مرة تحدثت بجرأة شاب استفزته عوامل نفسية كان في صدد إعداد مظاهرة كبرى تطوف شوارع القدس على أن تكون المظاهرة صامتة. فهنا لعلع صوتي متفجراً بأن الصمت هو الجبن وأني لن أتقيد بقرار وأني سأخطب في ساحة باب الخليل. وإذا بالأكف تصفق تأييداً وتشجيعاً وبالفعل كانت أول خطبة ارتجالية.. ألقيها من شرفة مكتب المحامي المرحوم فخري الحسيني شقيق المفتي... "

وخلال تلك المسيرة التي اندلعت من خلالها اشتباكات دموية بين العرب واليهود الصهاينة في أوائل نيسان ١٩٢٠، أطل من شرفة البلدية موسى كاظم الحسيني وخطب يحيي المتظاهرين مما تسبب في عزله عن رئاسة البلدية ليحل محله راغب النشاشيبي.

كانت هذه انطلاقة الفقيد السياسية والتي أدت الى بروز شخصيته على المسرح السياسي في فلسطين بحيث أصبح ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٤ عضواً فعالاً في اللجنة التنفيذية العربية المنبثقة من المؤتمرات الفلسطينية والتي كان يترأسها موسى كاظم الحسيني والد الشهيد عبد القادر الحسيني، ولقد انتدبته اللجنة التنفيذية عقب اضطرابات ١٩٢٩ - ١٩٣٠ للطواف هو وأمير القلم المرحوم عادل أرسلان بالأمريكيتين وذلك للدعاية لقضية عرب فلسطين. ولما لا ترسله اللجنة التنفيذية وهو الخطيب البارع الذي يحسن ست لغات هي العربية والتركية واليونانية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية. والمؤرخ للمسرح السياسي الفلسطيني بعد وفاة موسى كاظم الحسيني، يرى الانقسامات الخطيرة التي أرسيت أسسها في العشرينات نتيجة الصراع ما بين المفتي الحاج أمين وأنصاره وراغب والنشاشيبي وأنصاره ومحاولة كل من الطرفين الهيمنة على مسيرة الحركة الوطنية.

لقد نجح موسى كاظم الحسيني في التخفيف من وطأة الانقسامات داخل إطار المؤتمرات الفلسطينية السبع، ولكن الآن بعد وفاته ظهرت الانقسامات على السطح على شكل العشرات من الأحزاب.

وفي حزيران ١٩٣٥ اجتمعت عدة شخصيات معظمها من رؤساء البلديات بما في ذلك رؤساء بلديات القدس وغزة وعكا ورام الله وبيت لحم وبيت جالا لإنشاء حزب جديد يدعى حزب الإصلاح، وقد ضمت الهيئة التنفيذية للحزب - أو سكرتيرية الحزب - الدكتور حسن فخري الخالدي، رئيس بلدية القدس وعيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم «منذ عام ١٩٣٤» ومحمود أبو خضرة، وشبلي الجمل، وأصبحت جريدة **صوت الشعب** لسان هذا الحزب. والمتمعن في تاريخ ظهور هذا الحزب يرى محاولة بروز رؤساء البلديات كقوة سياسية بديلة للمعسكرين التقليديين أي معسكر أنصار المفتي ومعسكر المعارضة من أنصار حزب الدفاع وراغب النشاشيبي مع أن البرنامج الذي طرحه الحزب لم يختلف جذرياً عن البرامج التي طرحتها الأحزاب الوطنية الأخرى. إلا أن الحزب لم يعمر طويلاً، فقد اندمج مع بقية الأحزاب الرئيسة في **الهيئة العربية العليا** عشية اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦، وقد لعب الفقيد دوراً قيادياً في ذلك العام عندما تكونت اللجنة القومية للأشراف على إضراب الستة أشهر في بيت لحم.

وكان من مهام اللجنة، كمهام اللجان الأخرى في جميع أنحاء فلسطين، المحافظة على استمرارية الإضراب الشامل من شهر نيسان إلى شهر تشرين الأول ١٩٣٦. وجمع الأموال للمنكوبين والعمال والمتضررين من هذا الإضراب الذي تم إجهاضه نتيجة تدخل الملوك الرؤساء العرب بالنيابة عن بريطانيا. ولكن نشاط الفقيد السياسي وحملته الصحفية على بريطانيا وسياستها أدت أخيراً إلى اعتقاله في حزيران ١٩٣٨ ومكث في معتقل المزرعة قرب عكا لمدة شهرين ومن ثم أبعد من البلاد وذهب إلى اليونان ليشغل صحافتها بقضية عرب فلسطين الأمر الذي أدى إلى احتجاج سفير بريطانيا لدى خارجية اليونان، والتي أوعزت بدورها للمرحوم بمغادرة البلاد، وقد اتصل في هذه الفترة بخديوي مصر السابق عباس حلمي الثاني الذي خلعه البريطانيون من عرض مصر سنة ١٩١٤ وأصبح سكرتيراً له. وأخيراً سمحت له السلطات البريطانية بالعودة إلى أرض الوطن في أوائل الأربعينيات. وفي انتخابات البلدية لسنة ١٩٤٦، مثلها مثل انتخابات ١٩٣٤، اختارته الجماهير البيتلحمية بأكثرية الأصوات وقد مكث في هذا المنصب إلى ٢٠ نيسان ١٩٥١ عندما عين سفيراً متجولاً للأردن.

الدور الذي لعبه في حرب ١٩٤٨

ونتيجة الهزائم العربية المتلاحقة في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، تزعم المرحوم فكرة تدويل القدس وكان ممثل فرنسا وممثل البابا في بيت المقدس يؤيدانه تأييداً مطلقاً ولكنهما تراجعا عن تأييده، وهنا دعا إلى مؤتمر لوجهاء بيت لحم في دار البلدية وخاطبهم

قائلا: «إنني مستعد أن أطلق آخر رصاصة من فوق قوس المهد دفاعاً عن مشروع التدويل، وأود أن أصارحكم بأن قنصل فرنسا وممثل الكرسي البابوي قد تخليا عن تأييد المشروع فعليكم أن تقرروا ما تشاؤون»، وعندها قرر المجتمعون التخلي عن الفكرة في عام ١٩٥٠.

وعن دور المرحوم «ابو يوسف» في الأيام الأولى من نكبة ١٩٤٨، كتب أحمد لطفي وأكده الأمين العام السابق للجنة المركزية لحزب التجمع الوحدوي في مصر والحاكم الإداري لمنطقة بيت لحم لدى دخول القوات المصرية إلى المنطقة في أيار ١٩٤٨، في مجلة **السفير** البيروتية «٧ تشرين الثاني ١٩٨٤» ما يلي:

> عرفت عيسى البندك رئيساً لبلدية بيت لحم ورئيساً للجنة القومية في منطقتها، وهي منطقة واسعة تمتد من جنوب القدس إلى الخليل وهي الجيب الذي حوصر من كل جهة، وكانت مسؤولية حمايته تقع على أفراد القوة المصرية وحدها. ورغم الأخطار المحدقة التي كانت تهدد هذا الجيب، بيت لحم - الخليل، فإن أحداً من أبناء المنطقة لم يحاول الفرار. قال لي عيسى البندك ذات مرة، وكنت أتولى منصب الحاكم الإداري للمنطقة: «**لن يخرج فلسطيني واحد من هنا.. سنبقى هنا أو نموت هنا**... » وعملنا معاً، الفلسطينيون والجيش المصري، وكانت أمامنا مهمتان: حماية الجيب بيت لحم - الخليل وتموين القوة المحاصرة في عراق المنشية والفالوجة.. وفك الحصار عن قوة عبد الناصر في عراق المنشية، وهنا أيضاً وللآن لا أعرف كيف كان عيسى البندك يدبر الكثير من الدعم في تجهيز القوافل التي تنقل العتاد والتموين والأدوية عبر الليل إلى قطاع الفالوجة، وأصبحت بلدية بيت لحم إحدى قيادات عمليات فك الحصار وصمدت الفالوجة، وحين خرج منها الجيش المصري خرج موفور الكرامة.

مناقب الفقيد ١٩٥٠ – ١٩٥٧

وبعد وحدة الضفتين عمل في السلك الدبلوماسي الأردني وقد انتدبه الأردن مع الأستاذ أحمد طوقان في سنة ١٩٥٠ للذهاب إلى الأمم المتحدة للسعي من أجل أن تصبح الأردن عضواً في تلك المنظمة، وفي عام ١٩٥١ انتدبه الأردن مندوباً فوق العادة لمقابلة البابا وملك اليونان وذلك ليشرح وجهة نظر الأردن حول قضية تدويل القدس وقضية فلسطين، وفي نفس العام عين وزيراً مفوضاً للأردن في إسبانيا حيث مكث في هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٤. وقد وصفت مجلة **المهد** البيتلحمية مهمة الفقيد هذه في عام ١٩٥٤ كما يلي: "**فكان هناك كأنه "عمدة لمدريد"** أو مديراً "**لدار الضيافة فيها**" أو كأنه وريث عرب الأندلس أصحاب الفردوس

المفقود... وما من عربي مر بإسبانيا إلا وقف له عيسى وقطع عليه الطريق، ليضيفه ويكرمه في داره - كما كان يستضيف الناس في عاصمته بيت لحم - ثم يأخذ .. ذلك الزائر العربي إلى غرناطة وقرطبة وطليطلة، ليريه تراث الآباء والأجداد"، وخلال هذه الفترة توطدت صلات المرحوم بكبار المسؤولين الإسبان. ويقال أنه كان يتصل بالجنرال فرانكو اتصال الصديق بالصديق، وفي أعقاب هذه المهمة عين وزيراً مفوضاً للأردن في جمهورية التشيلي وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٧. وفي عاصمة التشيلي كانت دار المفوضية الأردنية تعج صباحاً ومساء برجالات السياسة والدبلوماسية أولئك الذين كان المرحوم يدعوهم إلى الحفلات والولائم مستغلاً هذه المناسبات، لرفع شأن العرب ولكسب أصدقاء جدد لقضيتهم الأولى، وقد صرح صاحب جريدة **التما أورا** في سانتياغو إلى عضو من الوفد البيتلحمي، الذي كان يطوف التشيلي في سنة ١٩٥٥ أن الأستاذ البندك هو الوزير العربي الوحيد الذي استطاع أن يخاطب رجال السياسة والصحافة باللغة التي يفهمونها وأنه أول وزير عربي واسع الاطلاع تحظى به التشيلي في تاريخها وتقدره وتقدر آراءه ومكانته. ومنذ سنة ١٩٥٧، أي عام اعتزاله السلك الدبلوماسي إلى يوم وفاته في أيار ١٩٨٤ كان المرحوم مدافعاً عن القضايا العربية، ولقد شاءت الأقدار أن يموت «أبو يوسف» بعيداً عن أرض الوطن.

الخاتمة

كتب في مجلة **الكشاف** البيتلحمية «السنة الثالثة، العدد ٢٥، ٢٤ / حزيران - تموز / ١٩٣٧» يقول:

«لا أعرف أنني أحببت شيئاً في هذا العالم، بمقدار حبي لبيت لحم مسقط رأسي العزيز، ولا أعرف أنني فتنت بمناظر طبيعية، كما أنا مفتون بمناظر بيت لحم ولا أعرف أنني رأيت سماء أصفى من سمائها ولا شمساً أكثر وهجاً من شمسها، ولا قمراً أجمل تكويناً من قمرها، ولا نجوماً أسطع لمعاناً من نجومها، ولا عبيراً أكثر تضخماً من عبيرها وعطرها!!»

كان لي الحظ أن أسافر إلى الولايات المتحدة والمكسيك والى معظم عواصم أوروبا وضواحيها ومتنزهاتها، ولكنني لا أذكر أنني رأيت ما يفوق جمال بيت لحم وما في جوها من متعة روحية، ولا أجد ألفاظاً تستطيع إبداء ما يجول في نفسي من معان، وما يخالج قلبي من خواطر وسوانح، وما يترنح في إحساسي من نشوة ونجوى...

وأذكر أنني وقفت في عام ٠٣٩١ على شلالات نياغرا حيث يتجلى جمال الطبيعة، وحيث تنشد المياه الفوارة نشيد الخلود وحيث ينتظم منها برج من الألوان الزاهية الضاحكة، مستقر في مساحة من الجو

يحصرها النظر، فأطلقت العنان إلى خيالي وقلت في نفسي، إن كل ذلك لا يوازي جمال الساقية التي ترِدها الفتيات والنساء في بيت لحم، ليأخذن منها حاجتهن وقد فاض من وجوههن جمال طبيعي، ومرح وديع، ونشاط تتبرج فيه الفتون والطهارة والقناعة!

إن بيت لحم لعظيمة بتراثها الديني والتاريخي، وغنية بالحوادث الجسام ويكفيها فخراً أن تكون مهد المسيح وأن تكون موطن الملوك والعظماء غير أن عظمتها هذه التي تخر لها الجباه تقديساً وإجلالاً، وليست وحدها مصدر هذا الحب، وليست وحدها مستودع هذه الفتنة، فهنالك عامل نفساني من المشاعر والأعصاب يتملكني، ويجعلني أفتدي كل شيء في سبيل بيت لحم، ويجعلني أستصغر كل شيء دون بيت لحم، ويحملني على الإيمان، بأن كل ما في العالم لا يساوي أصغر بقعة من بيت لحم! وأنا إذ سألت نفسي ما هو هذا العامل النفساني، وما سره، فلا أستطيع أن أجد في الكلام تعريفاً له ولا أرغب أن أوفق بكلام يشير إلى تعريفه أو أن أصيغ من الكلام معنى هو فوق متناول الألفاظ، وفوق متناول البلاغة، بل وفوق متناول العبقرية اللفظية فهو الإلهام بذاته وليس للالهام تعريف وإن أعظم لذة للنفس ألا تقوى الألفاظ على تعريف ما فيها من إسراء وإيحاء!!"

إني أنظر إلى كل شخص من أبناء بيت لحم ذكراً كان أم أنثى شاباً أم كهلاً صبياً أم شيخاً أنه سيد العالم إذا شعرت أنه يقف جهوده لخدمة بيت لحم وإعلاء مكانتها ورفع لوائها عالياً عالياً! وإني أحس بدموع الفرح تترقرق من مآقيّ عندما أشهد حفلة مهما كان نوعها يقيمها أبناء بيت لحم أو جمعية يؤسسها أبناء بيت لحم، ممن خلت قلوبهم من الشوائب وتعالت نفوسهم عن السخف والهراء، إني أعتبر هذه الجمعية أو ذاك النادي فوق ما لجامعة الأمم من أثر ونفوذ وفوق ما لكل جمعية سواها من مأثرة وسمعة!
إني أود أن أكون ظلاً لكل فرد من أهالي بيت لحم يعمل مدفوعاً بحبها مفتوناً باسمها، مغرماً بهواها، وإني أعتبر كل فرد من هذا النوع سيداً من سادة العالم وعظيماً من عظماء التاريخ!
إني أدعو كل من تستقر كلمتي هذه في نفسه من أخواتي البيتلحميات وأخواني البيتلحميين ذوي الإحساس الدقيق أن يتجاهل نفسه في سبيل بيت لحم، ويقف مواهبه على خدمتها، ويقصد أن يفني شخصيته في شخصيتها فهي جديرة بكل هذا وهي عريقة في التقديس والعبادة فأنا أحب بيت لحم وأقدس بيت لحم تقديساً يقرب إلى العبادة وهي في نظري فوق الجميع وأرجو أن يدرج أبناء وبنات بيت لحم كافة هذا الحب في قلوبهم ويجعلوا منه دستوراً لحياتهم وزاداً لنفوسهم وحافزاً لمشاعرهم ولْتحي بيت لحم فوق الجميع».